الثقافة ما بين الأطر الفكرية والاستخدام السوسيولوجي

The culture between intellectual from works and sociological use

إعداد

د.طيب جاب الله د.بن مقلة ريضا د.اسحاق رحماني

جامعة البويرة – الجزائر

Doi: 10.33850/ajahs.2020.120024

الاستلام : ١١ / ٨ /٢٠٢٠ القبول : ٢١ /٨/٢٠٢٠

المستخلص:

تعتبر الثقافة من أكثر المفاهيم تعقيدا، التي أخذت اهتماما كبيرا من طرف السوسيولوجين والانثربولوجين وبغض النظر عن مدى ادراكهم للمفهوم اللغوي و الفكري والمعرفي للثقافة واتفاقهم على مضامينه ومكوناته، و هو الأمر الذي اتفق عليه في شان الثقافة هو: أن لكل إنسان ثقافة تميزه عن غيره وأن لكل مجتمع ثقافة اجتماعية تميزه عن باقي المجتمعات، وكما أن الثقافة تلعب دورا فاعلا في حياة المجتمعات.إذ تشكل الثقافة بمفهومها العام البنية الأساسية لطرائق التفكير وآليات التفاعل الاجتماعي الأمر الذي يؤثر على فلسفة المجتمعات، والأفراد والمؤسسات ومستويات دافعتيه وإنتاجيته السوسيو- اقتصادية والسياسية لذالك ارتأينا أن نقدم مفهوم الثقافة ضمن النسق السوسيو- انثروبولوجي ومدى استخداماته المؤسساتية.

الكلمات الدالة: الثقافة ؛ السوسيولوجيا ؛ الانثروبولوجيا ؛ مجالات الثقافة .

Abstract:

The culture is one of the most complex concepts, which took great interest from sociologists and anthropologists , no matter how much their understanding of the linguistic, intellectual and cognitive concept of culture and their agreement on its content and components, what has been agreed upon, in culture is that every human being has a cultur that distinguishes him from others, and that each society has a social culture that distinguishes it from the rest of the society, culture also plays an active role in the life of societies as culture is formed in, its

general and structured sense constitutes the in frastructure of the ways of thinking and mechanisms of social interaction which affects the philosophy of societies, individuals and institutions and levels of motivation and socio- economic and political productivity. Therefore, we suggested that we introduce the concept of culture within the socio-anthropological style and the extent of its institutional use.

Keywords : sociology ; anthropology; sociology of culture.

مقدمة

عادة ما يختلف الناس أثناء المناقشات حول مواضيع مختلفة، وسبب اختلافهم يعود إلى عدم تحديد مفاهيمهم فالفرد الذي يتحدث عن العدالة و يقصد بها المحاكمة والقضاء قد يفهمه الأخر على أنه يتحدث عن العدالة الاجتماعية، وهكذا يختلف معه في المفهوم لأنه لم يحدده بدقة منذ البداية.

فالمفهوم هو "مجموعة الرموز التي يستعين بها الفرد لتوصيل ما يريده من معاني لغيره من الناس ومن السهل التعبير عن المفاهيم الملموسة، ومن الصعب التعبير عن بعض المفاهيم التي تحتاج إلى الكثير من التحديد وكثيرا ما يرتبط المفهوم بالتعريفات السابقة له، كما يتجدد المفهوم بتجديد الخصائص البنائية والوظيفية له. **"(شريف وبن حليمة، ٢٠١٥، ص١٣).** ويقصد بتحديد المفاهيم في أي بحث علمي " بناءات لغوية وتركيبات لفظية، تسهم في بناء التركيبات الأعم مثل المتغيرات والفروض أو التعميمات والنظريات العلمية التي تشرح وتفسر الظواهر العلمية والثقافية **"(دليو، ٢٠١٣، ص١٨٠)** اذن هي بناءات فكرية تمثل بعض مظاهر العالم (الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية، السياسية...).

ومن هذا المنطلق، يستوجب على الباحث الاجتماعي أن يكون دقيقا في تحديد مفاهيمه بإزالة كل لبس قد يدور بذهن القارئ، لأن المفهوم قد يحمل في طياته العديد من المعاني، فالإنسان العادي يرى في مفهوم البيروقراطية ذلك الروتين الإداري السلبي الممل، بينما الباحث السوسيولوجي يرى أنها النظام الذي يقوم على التنظيم والقواعد الرسمية في العمل.

وكذلك مفهوم الثقافة الذي يعتبره العامة من الناس على أنه المستوى التعليمي، أما نظرة السوسيولوجي والانثروبولوجي عكس ذلك فهي تعني الحضارة وكل الاعراف والعادات والتقاليد ويراه اتجاه آخر أنه سلوك لطبقة اجتماعية معينة، وهكذا يختلف الناس حول تحديد مفهوم معين. **(سلاطنية والجيلاني، ٢٠٠٩)** وبالتالي فالعقل العلمي يجب ان يتحلى بضرورة تحديد المفاهيم تحديدا دقيقا تساعد على فهمه وفهم استعماله في البحث حتى لا يساء فهم المفهوم.

والحديث عن مفهوم الثقافة المعقد المتشعب والدراسة السوسيولوجية للثقافة في غاية الأهمية لا لفهم الجماعات والمجتمعات فحسب، بل كذلك لاستيعاب ما يدور حولنا وفهم علاقات القوى ضمن جماعات ومجتمعات معينة. ببساطة فان الثقافة بالغة الأهمية، ويستحيل علينا فهم الحياة الاجتماعية والإنسانية ،ما لم نفهم العوامل المختلفة المحيطة بهذا المفهوم.**(انغليز وهيوسون، ٢٠١٣)**

وسنحاول في هذا المقام أن نتحدث عن مفهوم الثقافة كمفهوم مهم في العلوم الاجتماعية والإنسانية ، وهذا عندما نتطرق لمختلف الاستخدامات السوسيولوجية لهذا المفهوم ، أي توضيح الطريقة التي استعملها علماء الاجتماع لهذا المفهوم المتشعب في مختلف المجالات العلمية. ونحن نحاول تقديم هذا المفهوم من خلال محاولة الإجابة على مجموعة من التساؤلات، التي دائما تظهر في النقاشات واللقاءات وتطرح نفسها بإلحاح على الباحثين والدراسيين: فما هو تعريف الثقافة؟ هل يمكن تعريف الثقافة تعريفا شاملا؟ ألا ينطوي التعريف الشامل على نزعة إيديولوجية؟ ما معنى أن تكون الثقافة موضوعا سوسيولوجيا؟ هل يمكن أن نتبنى تصورا سوسيولوجيا للثقافة من جهة وانثربولوجيا من جهة أخري؟ ما هي المفاهيم المرتبطة والمتقاربة من مفهوم الثقافة؟ وما هي رهانات الثقافة كمفهوم مجتمعي في كل المجالات؟

١.الثقافة في اللغة:

أصل الثقافة في اللغة العربية مأخوذة من الفعل الثلاثي **(ثقف)** بضم القاف وكسرها، و تطلق في اللغة العربية على معان عدة، فهي تعني: الحذق والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلم، وتسوية الشيء وإقامة واعوجاجه والتأديب، والتهذيب، والعلم والمعارف، والتعليم والفنون.

قال ابن فارس: "**(ثقف)** الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة يرجع إليها الفروع، وإقامة درء الشيء ويقال **ثقف لقف**، وذلك أن يصيب علما ما يسمعه على استواء". **(أبي الحسين، ١٩٧٩، ص٣٨٢)** وفي تهذيب اللغة: ابن السكيت: رجل **ثقف لقف**، اذا كان ضابطا لما يحويه قائما به ... ويقال **ثقف الشيء** وهو سرعة التعلم. **(عاشور، ٢٠١٦).**

وعند ابن منظور: " **ثقف**: ثقف الشيء ثقفا، و**ثقافا**، و**ثقوفة**: حذقه، ورجل ثقف، وثقف وثقف: حاذقفهم، واتبعوه فقالوا: ثقف لقف ... ابن دريد: ثقفت الشيء: حذقته، وثقفته إذا ظفرت به. وثقف الرجل ثقافة أي: صار حاذقا خفيفا مثل ضخم، فهو ضخم ومنه **المثاقفة**. وثقف أي: صار ثقا مثل تعب تعبا أي: صار حذقا فطنا. وغلام لقن ثقف، أي: ذو فطنة وذكاء، والمراد انه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه**". (أبو الفضل، ص٠٩)**، فالثقافة لغة تعني: الفهم وقوة التفكير وسرعة التعلم، وضبط المعرفة واكتسابها بحذق وفطنة.

أما بالنسبة للغات ألأجنبية فمصطلح الثقافة عرف التطور الدلالي الذي سمح فيما بعد بابتداع المفهوم خاصة في اللغة الفرنسية. فظهور الكلمة كان في أواخر القرن ١٣ منحدرة من **cultura** اللاتينية التي تعني العناية الموكولة للحقل والماشية، وذلك للإشارة إلى قسمة الأرض المحروثة.

وفي بداية القرن ١٦ كفت الكلمة عن الدلالة على حالة الشيء المحروث لتدل على فعل هو فلاحة الأرض. إلا أن في منتصف القرن ١٦ تغير المفهوم نوعا ما للدلالة على تطور الكفاءة والاشتغال بإنمائها. وظل هذا المعنى المجازي ساريا لكن لم يحظ باعتراف أكاديمي حتى القرن ١٨ الذي بدأت فيه كلمة الثقافة تفرض نفسها وتم إدراجها في قاموس الأكاديمية الفرنسية **Dictionnaire De L'académie française** الذي نشر سنة ١٧١٨. **(كوش، ٢٠٠٧).**

٢.الثقافة اصطلاحا:

يتفق العديد من العلماء على أن تحديد مفهوم الثقافة تحديدا دقيقا يعتبر من الصعوبات المعرفية ويعتبرونه مفهوم إيديولوجي أكثر منه علمي، حيث عرفت الثقافة باعتبارها طريقة كاملة في للحياة لدى مجتمع معين، حيث يتم تعلمها وتقاسمها بين أفراد المجتمع. غير انه من المفاهيم المعقدة.

فمثلا **ريموند وليم** أحد المنظرين في الثقافة في كتابه **keyword** يعتبرها من أكثر المفردات تعقيدا في اللغة الإنجليزية فكلمة الثقافة استعملت بمذاهب مختلفة، وفي جميع المذاهب جرى التعامل معها كشيء مغاير للطبيعة.

فالأشياء التي يصنعها الإنسان ويمارسها هي معطيات ثقافية بينما الأشياء التي تحدث بدون تدخل الإنسان تعتبر جزء من عالم الطبيعة. فالثقافة بهذا التصور هي دائمة رمزية تكتسب بالتعلم وتشكل مظاهر للمجتمع الإنساني. **(هارلمبس وهولبورن، ٢٠١٠).**

إن تعدد التعاريف لمفهوم الثقافة رافقه تعدد المذاهب والآراء والإيديولوجيات حول أي جزء من مظاهر الحياة الإنسانية يعتبرا جزءا ثقافيا ومن هذا المنطلق حاول **كريستوفر جينز** التمييز ما بين أربع معاني رئيسية اصطلاحية لمفهوم الثقافة: **(نفس المرجع، ص٨).**

- ✓ الثقافة ينظر إليها كحالة للفكر، فيقال على شخص ما مثقف عندما يتجه نحو فكرة الهدف أو الطموح أو الانجاز.
- ✓ إذا كان التعريف الأول نخبوي، فالتعريف الثاني كذالك نخبوي لكن بنظرة جماعية، فالثقافة هو التقدم لدى المجتمعات والرقي والمنافسة بين المجتمعات. فالثقافة في هذا المفهوم شديدة الارتباط بمفهوم الحضارة. وهذه النظرة هي مقاربة لأفكار التطور عند سبنسر الذي نظر للمجتمعات الغربية باعتبارها أكثر تطورا مقارنة بالمجتمعات الأخرى.

- ✓ أما التعريف الثالث يرى الثقافة كإطار للفنون والأعمال الذهنية لدى أي مجتمع منفرد.
- ✓ والتعريف الأخير يرى الثقافة كأسلوب كامل في الحياة، وهذا التعريف يؤكده **رالف لينتون** عندما يبين ثقافة المجتمع على أنها طريقة حياة أفراده، وهي مجموعة الأفكار والعادات والتقاليد التي تعلموها وتوارثوها عن طريق الأجيال.

٣. خصائص ومميزات مفهوم الثقافة:

للثقافة مميزات وخصائص مفاهمية تبين التداخل الإيديولوجي والفكري للثقافة كمفهوم وهي كما يلي: **(انغليز و هيوسون،٢٠١٣)**

- ✓ تتألف الثقافة من أنماط فكرية وقيم ومعتقدات شائعة بين مجموعة من الأفراد. فالثقافة هنا جزء لا يتجزأ من الحياة الكلية لمجموعة معينة من الأفراد.
- ✓ ثقافة مجموعة ما تميزها عن المجموعات الأخرى، فلكل مجموعة ثقافتها الخاصة بها. كثقافة امة معينة، أو ثقافة طبقة اجتماعية كثقافة الطبقة العاملة. أو ثقافة جماعة اثنيه في بلد ما.
- ✓ تحتوي الثقافة على معنى، عن طريقه يستطيع الفرد أن يستوعب ويستجيب فكريا وعاطفيا لما يدور حوله من مظاهر سلوكية وحياتية.
- ✓ الثقافة تعلم. هي تعلم ينتقل عبر الأجيال.
- ✓ الثقافة اعتباطية. هي نتاج النشاط الإنساني وليست فعلا من أفعال الطبيعة، فهي معرضة للتغير إذا ما تغيرت حياة المنطقة الثقافية.
- ✓ باختصار يحتوي مفهوم الثقافة على الخصائص الشاملة هي كل ما نعتقده ونفكر به ونشعر به فهي أمور تتعدى الطبيعة حسب بعض السوسيولوجين.

٤. المفاهيم المرتبطة بالثقافة:

توجد الكثير من المصطلحات لها علاقة وطيدة بمفهوم الثقافة، أو احد العناصر المكونة والمكملة لها أو حتى مفاهيم ذات الصلة بالاستخدامات السوسيولوجية فيها سواء في علم الاجتماع أو في العلوم الأخرى، ومن هذه المصطلحات تم التركيز على: الحضارة–الهوية.

١,٤ الثقافة والهوية:

تعرف الهوية بأنها إحساس بالذات ينشا حينما يبدأ الطفل بالتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه في المجتمع. هي تشير إلى الانتماء الرئيسي الوحيد الذي يستمر في مختلف الأوضاع والظروف أقوى من مختلف الانتماءات التي يرسمها الإنسان لنفسه. أو يفرضها المجتمع أو يورثها للأجيال جيلا بعد جيل. **(شريف وبن حليمة، ٢٠١٥).**

ومن المصادر الأساسية للهوية هي القومية والعرق والجنس والطبقة. ورغم أن الهوية تنسب إلى الأفراد إلا أنها ترتبط بالمجموعات الاجتماعية التي ينتسب إليها الأفراد ويصنفوا على ضوئها.

وعلاقة المفهومين ببعض أن فكرة الهوية ترتبط بإحكام إلى فكرة الثقافة. والهويات يمكن أن تتشكل عير الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي لها الأفراد أو التي يشاركون فيها. والعديد من نظريات الهوية ترى العلاقة ما بين المفهومين تأخذ أشكالا مختلفة. **(هارلمبس وهولبورن، مرجع سابق، ص١٤).**

فالباحثين الذين تأثروا بالمقاربات الحديثة للمفهومين ينظرون للهوية باعتبارها نشأت عن طريق الانخراط في ثقافات فئوية معينة. فمثلا **ستيفن فروش** يعتبر الهوية إفراز من الثقافات ولكنها لا تتكون منها. فهو يبين أن النظرية الحديثة للعلوم الإنسانية والاجتماعية تؤكد أن هوية الفرد هي في الحقيقة متعددة. أنها تتكون عن طريق التجربة وتترسخ برموز لغوية. والأفراد حين يطورون هوياتهم إنما ينجذبون إلى المعطيات الثقافية الموجودة في الشبكة الاجتماعية المباشرة لهم وتلك الموجودة في المجتمع. **(نفس المرجع، ص١٥)** وبالتالي أن عملية بناء الهوية بكل أنواعها وأشكالها تتأثر إلى حد بعيد بكل الأبنية والأنساق الثقافية والاجتماعية المحيطة بها.

٢,٤ الثقافة والحضارة:

إن النظريات السوسيولوجية لم تكن المصدر الوحيد في تطوير وخلق الآراء حول الثقافة وإنما هناك مؤثر أخر يتمثل في التقاليد الفكرية السائدة والتي بدورها تأثرت بميادين أخرى مثل النقد الأدبي وهذا الاتجاه سمي بالثقافة وتقاليد الحضارة.

لا يمكن الحديث عن الثقافة كمفهوم معرفي بدون استحضار المفكر الجزائري **مالك بن نبي** صاحب كتاب **"مشكلة الثقافة"** الصادر سنة ١٩٥٩م. فقد شغلته قضية الثقافة وظلت حاضرة في جل وإسهاماته الفكرية على اعتبار أنها جوهر المشكلة الحضارية التي يمر منها العالم الإسلامي، ولذلك حاول أن يصل إلى فهمها وإيجاد حلول لها منذ أن ألف أول كتاب تحدث فيه عن الثقافة، وهو كتاب (شروط النهضة) الصادر باللغة الفرنسية في باريس عام ١٩٤٨م. **(المريط، ٢٠١٦).**

انطلق مالك بن نبي في كتاباته من قاعدة مفادها: أن كل تفكير في مشكلة الإنسان هو تفكير في مشكلة الحضارة التي يمكن تحليلها إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب (يقصد به الشروط المادية)، مشكلة الوقت، وكل تفكير في مشكلة الحضارة هو في الأساس تفكير في مشكلة الثقافة، باعتبار أن الحضارة في جوهرها مجموعة من القيم الثقافية المحققة. وإذن فمصير الإنسان رهن دائما بثقافته، واتجاه الحضارة هو محصلة معادلة جبرية من متغيرين هما: المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي. **(نفس المرجع)**.

ولا يمكن تعريف أو فهم أو حل مشكلة الثقافة ما لم ننظر إليها من خلال زاوية الحضارة، ولا يمكن تعريف أو فهم أو حل مشكلة الحضارة ما لم ينظر إليها من زاوية ثقافية.

٥. مفهوم الثقافة ضمن النسق السوسيو- انثروبولوجي:

بما أن هذا المقال يتناول الطرق السوسيولوجية في فهم ظاهرة الثقافة كمفهوم معرفي وعلمي وإيديولوجي، وبما أن علم الاجتماع والانثربولوجيا معنيان بفهم العوامل الاجتماعية، كما هي معنية بفهم العوامل الثقافية. فلا بد أن بين في هذا العنصر ما نعنيه بالإطار السوسيولوجي والانثربولوجي بعرض مجموعة من المفاهيم والأطر المعرفية لمجموعة من المنظرين في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا.

والمقاربات الاجتماعية التي تناولت الظاهرة الثقافية عديدة مثل: السوسيولوجيا البنيوية، ونظرية الفعل والسوسيولوجيا الظاهرية والسوسيولوجيا البنائية ... كلها مداخل تتناول موضوعات لها علاقة ب "الثقافة". فالسوسيولوجيا المبنية على الفكر الماركسي القائمة على علاقات القوى بين الطبقات الاجتماعية تحلل الثقافة ضمن الإطار وتدرسها بهدف إضافة شيء جديد إلى فهم علاقات القوى الطبقية. وكذلك السوسيولوجيا الفيبرية التي تركز على سلوكيات الأفراد، ترى أن الأمور الثقافية تدخل في دراسة هذه الدوافع. وهكذا فان كل فرع من فروع السوسيولوجيا يحلل ويدرس الثقافة داخل إطار منهجه واهتماماته. **(انغليز وهيوسون، مرجع سابق).**

إن الفكرة الرئيسية لفهم ظاهرة الثقافة هو توفر معيارين هما:

- ✓ معيار يميز السوسيولوجيا عن الفلسفة.
- ✓ ومعيار يهتم مسالة التنظير السوسيولوجي في فهم االابنية الاجتماعية وأفعالها.

مع إضافة معيار ثالث هو السعي لفهم العلاقة ما بين العوامل الاجتماعية والعوامل الثقافية. لذلك فان منهج سوسيولوجيا الثقافة هو منهج يشير دائما إلى العوامل الثقافية والعوامل الاجتماعية. أي العلاقة ما بين الثقافة والمجتمع. وبما أن السوسيولوجيا هي علم ينتج داخل المجتمع وتتفاعل داخل المجتمع وتبحث في الأبعاد الاجتماعية للحياة البشرية، فان دراسة الثقافة ضمن حدود السوسيولوجيا تعني البحث في العوامل الاجتماعية والثقافية معا.

أولا: ونبدأ بأولى المقاربات الانثربولوجية **لتايلور** الذي أعطى تصورا كونيا للثقافة من خلال تعريفه الاثنولوجي الأكثر اتساعا هي: "هذا الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع**."(كوش، ٢٠٠٧. ٣١).**

يحتوي هذا التعريف على نوع من التوسع الفكري والاثنولوجي، يحمل وصفا موضوعيا. فالثقافة حسب تايلور هي التعبير الكلي للحياة الإنسانية الحاملة في

طياتها البعد الاجتماعي. فهو إبداع **سوسيو-انثروبولوجي واثنولوجي** قدمه تايلور في كتابه الثقافة البدائية المفكر الحر الذي أغلقت في وجهه الجامعات البريطانية باعتباره **صاحبيا**.

ثانيا: ثاني الإسهامات تتمثل في أعمال **بواس**، فإذا كان **تايلور** مبتدع مفهوم الثقافة، فان **بواس** أول انثروبولوجي ينجز تحقيقات على الطبيعة عن طريق دراسة اثنوغرافية والمطولة على الثقافات البدائية. وكل أعماله تندرج في فهم عملية الاختلاف بين المجموعات البشرية، الذي يرجع إلى طبيعة ثقافية عرقية. يعتبر **بواس** من الذين قدموا التصور الانثروبولوجي لظاهرة الثقافة باعتبارها من الأنساق المعقدة التي تتطلب فحصا معرفيا ومنهجيا معمقا.

ثالثا: الماركسية واعتبار الثقافة كإيديولوجية: يعتبر **هيغل** من رواد الفلسفة المثالية، الذين يعتبرون حياة البشر أفكارا وصور عقلية والعالم الاجتماعي المحيط بنا هو نتاج أفكارنا. وأن المجتمع هو نتاج ثقافة فريدة من نوعها وهي الثقافة العامل الرئيسي في حياة اي مجتمع.

ولقد قلب ماركس بعده الأفكار رأسا على عقب في إطار نظريته المادية التاريخية. ورد على **هيغل** وفلسفته المثالية التي ترى بان العالم الاجتماعي هو نتاج الأفكار، عندما قال بان العالم الاجتماعي هو المسؤول على إنتاج الأفكار، ورأى ماركس بان المجتمع هو الذي ينتج الثقافة، وليست الثقافة هي المسؤولة عن إنتاج المجتمع، وعبر عن هذا الموقف بقوله: وعي الناس لا يرسم حدود وجودهم وإنما وجودهم الاجتماعي هو الذي يرسم حدود وعيهم. **(كارل، ١٩٤٧).**

فماركس يعتبر الثقافة نتاج التمازج السوسيو-اقتصادي للظواهر، وأن البناء الاقتصادي المنظم اجتماعيا ينتج ثقافة. وربط العوامل الاقتصادية – الاجتماعية بالعوامل الثقافية ضرورة -، ويعتبر ماركس أن الانتكاس الثقافي في المجتمع راجع لعدم التوازن ما بين القوى الاجتماعية والاقتصادية.

ومن الانتقادات التي وجهت إلى الماركسية أنها اعتبرت الثقافة مجردة فكرة تابعة، فهو لم تعط للثقافة حقها. والثقافة ليست منبثقة من العوامل المادية، فهي بأهمية أكثر في المجتمع من العوامل المادية. كما أن إعلاء العامل الاقتصادي على العامل الثقافي يتحدد حسب الخصائص المجتمعية لكل مجتمع، ولا يوجد انفصال تام ما بين العوامل المادية والعوامل الثقافية فهي مرتبطة ببعضها البعض. (انغليز وهيوسون، مرجع سابق، ٤٤).

وفي الأخير لا يمكن حصر الثقافة في الإيديولوجيات ومصالح الطبقة الحاكمة، وإنما هي باب واسع اشمل للأفكار الاقتصادية حسب المفهوم **التايلوري.**

رابعا: الاتجاهات الوظيفية في تحديد فهم الثقافة: لم يتحدث علماء الاجتماع الوظيفيون كثيرا عن الثقافة إلا في إطار القيم والمعتقدات وأساليب الحياة، فمسالة

الثقافة عند الوظيفيون هي قضية الثقافة الاجتماعية ومن رواد الوظيفين الذين أشاروا إلى مفهوم الثقافة كل من **دوركايم** و**مارسيل موس** و**تالكوت بارسونز.**

دوركايم وموس والحاجة إلى التصنيف البدائي، حاولا المفكرين في تصنيفهم البدائي أن يجيبا عن الأسئلة الأساسية حول كيفية نشوء الثقافة الإنسانية. وهما اعتبرا الثقافة تصبح ممكنة فقط عندما يتمكن الإنسان من التمييز بين الأشياء وتصنيفها. وأصل أنظمة التصنيف لكي يعرفا من أين جاء النموذج الذي يرتكز عليه التصنيف اعتبرا النموذج انبثق من تركيب المجتمع. وكلما زادت درجة التعقيد في المجتمع أصبح التصنيف أكثر تعقيدا أيضا. **(هارلمبس وهولبورن، مرجع سابق، ١٤).**

كما أكد **دوركايم** في أعمال أخرى علاقة الثقافة بالدين وأن الثقافة ذات أصل اجتماعي. ويرى أن الدين يرتكز على التقسيم الرئيسي للعالم إلى مقدس ودنيوي.

وفي المجتمعات البسيطة رأى **دوركايم** أن الدين يشكل الأساس في الوعي الجماعي للعقائد والقيم الأخلاقية في المجتمع. ورغم أن **دوركايم** لم يستعمل كلمة ثقافة لتشير إلى الوعي الجمعي. **(نفس المرجع، ص١٩).**

فهو يعتقد أن الوعي الجماعي له تأثير قوي جدا على الناس في المجتمعات ما قبل الصناعي التي تعرف التضامن الآلي.

أما **بارسونز** نظريته في الثقافة تأتي مكملة لنظريته في المجتمع حول الأنساق الاجتماعية، بربط إشكالية الثقافة بالنظام الاجتماعي، واعتبار الأشياء الثقافية عناصر رمزية للتقاليد والقيم. كذالك ربطه إشكالية الثقافة بمسالة التربية، فهي تأخذ بطريقها إلى الأطفال عبر التربية وخاصة أثناء التربية المبكرة في العائلة. وعرضه لإشكالية التغيير الاجتماعي في ظل الثقافة المجتمعية، حيث يعتبر أن الاشتراك الثقافي بين أفراد المجتمع يؤدي إلى دوام مشروعية المجتمع الثقافية والاجتماعية والشتات الثقافي يؤدي إلى شتات المجتمع. وبالتالي نظرة **بارسونز** إلى لمسالة التغيير في المجتمع تتوافق إلى حد كبير مع نظرة **دوركايم**، وبان التغيير الثقافي يحدث عندما تتطور المجتمعات، وتغير المجتمعات من بسيطة إلى معقدة حتما سوف تكون تغييرات في القيم المسيطرة على النظام الاجتماعي.

٦. رهانات مفهوم الثقافة واستعمالاته المؤسساتية:

يشهد مفهوم الثقافة تطورا معرفيا واصطلاحيا، في نجاحها على تعويض بعض الحقول ويعود هذا النجاح إلى انتشار الانثروبولوجيا الثقافية، وهكذا يمكن لأية مجموعة اليوم أن تزعم لنفسها ثقافة خاصة، حيث أدرج المفهوم في حقول عدة كالسياسة والاقتصاد والتنظيمات المؤسساتية، ومن بين الحقول التي عرفت رواجا لمفهوم الثقافة السياسة والاقتصاد.

١,٦ الثقافة كمفهوم سياسي:

كما اشرنا سابقا اجتاح مفهوم الثقافة مجالات عدة، حيث أصبحت الثقافة اليوم مسر سياسي ولقد أصبحت كثيرة الاستعمال في المفردات السياسية من طرف الفاعلون السياسيون، حيث أصبحت كحتمية في طريقة كلام السياسي. وأصبحت تأخذ اليوم الاتجاه الإيديولوجي في تحليل الظواهر السياسية. (**كوش، مرجع سابق، ١٧٣**).

وبالتالي الثقافة أصبحت مفهوم إيديولوجي للممارسة السياسية، ومفهوم معرفي ومنهجي لا يمكن التخلي عنه في علم الاجتماع السياسي ولا يمكن حجب الروابط ما بين الثقافة والسياسية كمفهومين معرفيين.

٢,٦ الثقافة كمفهوم سيوسيو – تنظيمي في المؤسسات:

أصبح مفهوم الثقافة يشكل حيزا كبيرا في الأدبيات السوسيولوجية والتنظيمية والمقاولاتية، وذلك باعتمادها كمنهجية عامة في العمل، تقوم على الوعي بالواقع الحقيقي للمقاولة، وما تريد الوصول إليه. بمعنى أن المظهر الثقافي هو الذي يتحكم في طرق اشتغال التنظيم والمؤسسات. أن لكل مؤسسة ثقافة تنظيمية خاصة بها ولها سلوك تنظيمي مميز لها من غيرها (**زياني، ٢٠١٥**). نستنتج انه هناك تشابه كبير ما بين الثقافة والثقافة التنظيمية في مفهومها العام. ولذا نجد التأكيد على البعد الإيديولوجي والقواعد والمعايير الفكرية والأخلاقية في ثقافة المؤسسة.

خاتمة:

كثيرا ما تلخص الثقافة في الجوانب الالادبية والفنية في الكثير من المجتمعات (خاصة العربية)، فالاهتمام الاكبر للقائمين على الثقافة محصور في القدرات الابداعية والكتابة والاشعار والغناء والفلكلور. ولا ننكر ان هذه الامور من صميم الثقافة لكن لا ينبغي لنا اغفال ان هذه الامور لا تعني بالضرورة المستوى الثقافي للمشاركين في اي من هذه الميادين، بل تعني وتعكس القدرات الفنية والمواهب والاهتمامات الخاصة لهم.

لذا فالثقافة عند الاكاديميين تعكس المستوى الفكري، وهي امر وجداني ورؤية منفتحة على عديد المعارف الانسانية لها القدرة على تحليل الامور والمواقف بعيدا على التعصب لأفكار محددة خاصة ما تعلق منها بالمواضيع الدينية والمذهبية والطائفية والهوياتية، ..، لكن هذا لا يعني انسلاخنا عن بعدنا الجغرافي والتاريخي والديني، لان الاخر كثيرا ما يعتمد على هذه المحددات لتصنيفنا وتقييم معاملاتنا.

وفي هذا الاطار نجد - من تأثير الغرب - أن مفهوم الثقافة مزال أسير المقاربات الغربية، ولو ولج جسم الحضارة الإسلامية واكتسب دلالتها، وهذا ما ظهر في إشكال ترجمته العربية، وفي انتقال نفس التباسه مع مفهوم الحضارة إلى العالم

العربي والإسلامي؛ كل هذا جعل منه مفهوما مستوردا من الحضارة الغربية، مستلبا لقيمه موفودا على الحضارة العربية الإسلامية. لذا فإن الفكر الحضاري العربي الإسلامي لكل من **مالك بن نبي، ونصر محمد عارف، وعبد الوهاب المسيري**، حيث تعتبر إسهامات رائدة في نقد مفهوم الثقافة المستلب لقيمه الدينية ومعتقداته والمستورد من القيم الغربية. قامت بدور مضاعف: يتمثل في تقديم مساءلة ومحاكمة للمفهوم الغربي للثقافة ومحاولة إعادة بنائه واستنباته في تصورات عربية إسلامية تستدمج خصوصيات المجتمع الإسلامي. كما يجب تفعيل مفهوم الثقافة ضمن رؤية شاملة متوازنة للخروج ببناء حضاري منفتح على البعد الإنساني وبالية حضارية للتجديد المجتمعي.

الثقافة هي الذاكرة الجمعية لأي مجتمع، هي أساس هويته وانتمائه وتميزه، تمتد اهميتها الى الحياة العملية لأفراد المجتمع من خلال استنهاض مختلف التعبيرات والخصوصيات الثقافية، وإعطائه حضارة متألقة. والثقافة بهذا المعنى، هي سجل مفتوح يواكب تطور المجتمع وسيرورته، ويخضع عبر مجريات التاريخ لتفاعلات عدة تؤثر عليها من حيث الوظيفة التي تؤديها تجاه الأفراد والجماعات البشرية.

ولكي تقوم الثقافة بمهمتها الحقيقية في الحياة الفكرية والاجتماعية لاي مجتمع (خاصة مجتمعاتنا العربية والاسلامية) وجب وضعها في اطارها الحقيقي يتمثل في بعض الاقتراحات والتوصيات نسردها كما يلي:

- ✓ ضرورة تعليم كافة افراد المجتمع بأهمية الموروث الثقافي الجمعي وانه عنصر مهم في الوحدة الاجتماعية والفكرية.
- ✓ حماية المجتمع من الغزو الثقافي الغربي، واستخدام احدث الوسائل التكنولوجية التي وصلت اليها وسائل الاتصال.
- ✓ تجديد السياسات المحلية والاقليمية لتتماشى والتحديات الرقمية الجديدة، قصد الرفع من مكانة الثقافة والموروث الثقافي.
- ✓ تخصيص ميزانيات واعتمادات مالية في المستوى، حتى تتمكن السياسات الرسمية ان تبلغ مداها، وان تحقق اهدافها.
- ✓ بلورة خطة عمل واضحة المعالم من أجل تحقيق تدبير خلاق لمختلف التعابير الثقافية والفنية عالمة كانت أم شعبية، والتعريف بها كموروث ثقافي وطنيا ودوليا.
- ✓ تعبئة الفاعلين والباحثين في المجال الثقافي حتى تخرج الثقافة من اطارها البدائي والخرافي الى المجال العلمي والتكنولوجي.
- ✓ ربط الكل ما له صلة بالثقافة مع المجالات القتصادية والسياسية والاجتماعية للارتقاء بها (خاصة المؤسسات التربوية).

- ✓ على وسائل الاعلام تطوير برامجها في التعريف بالثقافة وفق الاليات العالية التي بات يتوفر عليها وصول المعلومة وحجم المعلومات الى الجمهور(وسائل التواصل الاجتماعي والوسائط الاعلامية).

قائمة المراجع:

أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين، **لسان العرب** ، الجزء٠٩ (بيروت: دار صادر).

انغليز ديفيد وهيوسون جون، ٢٠١٣. **مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة**، ترجمة لما نصير ومراجعة فايز الصباغ. ط١ (قطر: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات).

بن زكريا أبي الحسين احمد ابن فارس، ١٩٧٩. **معجم مقاييس اللغة**، الجزء ٠١ (بيروت: دار الفكر).

دليو فضيل، ٢٠١٤. **مدخل إلى منجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية**، الجزائر: دار هومة.

زياني عبد الغني، ٢٠١٣. **سوسيولوجيا المقاولة بالمغرب: مدخل إلى منجز لحبيب أمعمري**. المغرب: منشورات دار الحداثة.

سلاطنية بلقاسم والجيلاني حسان، ٢٠٠٩. **محاضرات في المنهج والبحث العلمي – الكتاب الثاني**- ط٢. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

شريف سهام وبن حليمة محمد، ٢٠١٥. **"مفهوم الهوية واستعمالاته السوسيولوجية"**، الدين والمجتمع، العدد رقم٠١.

عاشور احمد محمد، **تعريف الثقافة لغة واصطلاحا**، مقال مقدم لشبكة الألوكة (ثقافة / معرفة/ فكر) الموقع : www.alukah.net يوم ٢٠١٦/١٠/٠٣ على ١٢,١٥ سا.

كارل ماركس، ١٩٤٧. **رأسمال**. ترجمة راشد البرواي القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

كوش دنيس، ٢٠٠٧. **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، ترجمة منير السعيداني، ط١. بيروت: المنظمة العالمية للترجمة.

المريط مصطفى، **مفهوم الثقافة ما بين الفكريين الغربي والعربي: من التباس المفهوم إلى أفق البناء الحضاري**، مركز البحث في الفكر الإسلامي، السعودية الموقع : www.mama-center .com يوم ٠٣ أكتوبر ٢٠١٦ على ١٦,٠٠سا.

هارلمبس وهولبورن، ٢٠١٠. **سوشيولوجيا الثقافة والهوية**، ترجمة حاتم حميد محسن (دمشق: دار كيوان للنشر.